اللغة بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية والاقتراض اللغوي

كـــوثر قـــوفي

باحثة: السنة الثانية دكتوراه

تخصص الدراسات اللسانية المقارنة

جامعة البليدة 2

الملخص:

إن اللغة هي خير أداة للتواصل بين بني البشر، وأفضل وسيلة لنقل الأفكار والتفاهم، وهي تنمو وتتطور باستمرار وتحتك وتلتقي مع غيرها من اللغات وتؤثر وتتأثر ببعضها البعض.

وقد عرضنا في هذا المقال إلى ثلاث ظواهر لغوية تنتج عن احتكاك اللغات وصراعها، فتحدثنا بداية عن ظاهرة الازدواجية اللغوية وحاولنا شرح مفهومها، وأسباب انتشارها وتوضيح مخاطر هذه الظاهرة على اللغة الأم وأثرها على وحدة المجتمع، ثم عرضنا للثنائية اللغوية فحددنا مفهومها وعوامل ظهورها وكذا آثارها على اللغة الأم وحاولنا اقتراح بعض الحلول المقلصة لآثار الظاهرتين السابقتين. ثم تحدثنا عن الاقتراض اللغوي ومفهومه والعوامل المسببة لاقتراض اللغات من بعضها، وأثر ذلك في نمو اللغات وتطورها.

وتوصلنا أخيرا إلى أن الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية كلاهما خصم للغة الأم بل يقضي عليها ويهدمها، بينما يقوم الاقتراض اللغوي بإثراء اللغة وتوسيع رصيدها اللغوي، وعلينا اتخاذ التدابير اللازمة لحماية اللغة الأم والاهتمام بها وتعزيزها.

الكلمات المفتاحية: اللغة، الازدواجية اللغوية، الثنائية اللغوية، الاقتراض اللغوي

Summary:

The language is the best tool for communication between human, and the best way to convey ideas and understanding, it is in constant development and evolution, by contact with other languages it can affect and be affected by each other

And has talked in this article to three phenomena of language produced by the friction of languages, and we spoke the beginning of the phenomenon of diglossia and we tried to explain the concept, and the reasons for their spread and explain the risks of this phenomena on the mother tongue and its impact on the unity of the community, and then we pass to bilingualism phenomena linguistic and We identified the concept and appearance factors and their effects on the mother tongue and tried to propose some solutions to the effects of the previous two phenomena.

Then we talked about the of borrowing linguistic phenomenon and its concept and the factors causing languages borrow from each other, and their impact on the evolution of languages. Finally, we determined that the diglossia and bilingualism discount mother language, while the borrowing languistic have to enrich the language and expansion of linguistic stock, and we have to take necessary measures to protect and promotion the mother language.

keywords : Language; Diglossia ; Bilingualism ; Borrowing linguistic

مقدمة:

إن أهم وظيفة تقوم بها اللغة الإنسانية هي التواصل بين أفراد المجتمعات، لذا فلكل قوم لغتهم وأصواتهم التي يعبرون بها عن أغراضهم واحتياجاتهم المختلفة، **ولا يمكن** لأي مجتمع بشري أن يستمر دون لغة يتواصل من خلالها.

واللغات جميعها في تطور وتغير مستمر، فهي تتأرجح بين الاستعمال تارة **وتؤول** تارة أخرى إلى الاندثار، كما أنها تدخل في صراعات مع غيرها إذ من غير الممكن أن تعيش لغة بمعزل عن لغات العالم، كما لا يتأتى أن تظل بمأمن من الاحتكاك بغيرها من اللغات الأخرى، فعيشها منعزلة يعني موتها المحقق لا محالة.

وتعدّ ظواهر انتقال وتبادل الالفاظ بين اللغات من عوامل تطوير وتنمية وتعزيز ثرواتها اللغوية، رغم التبعات الأخرى التي تلحق باللغات نتيجة الصراع اللغوي والاحتكاك بغيرها.

وأردنا في هذا المقال أن نسلط الضوء على ظواهر مختلفة ربما تلتقي في كونها نتيجة للاحتكاك اللغوي وصراع اللغات، هذه الظواهر هي: الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية والاقتراض اللغوي، اذ لا يسلم أيّ مجتمع من هذه الظواهر لأن أي احتكاك بين لغتين في مجتمع واحد يؤدي حتما لتأثر كل منهما بالأخرى بدرجات متفاوتة تختلف بحسب الظروف والحيثيات.

وسنعرض في هذا المقال إلى تحليل الظواهر السابقة وبيان **عواملها** ومسبباتها وما ساعد على انتشارها في بيئتنا العربية بشكل **خاص،** وسنعرض لأهم الفروق بين هذه الظواهر حتى لا تختلط على الباحث لتشابهها واتصالها جميعا باللغة الواحدة في آن واحد.

سنعرض ابتداء للازدواجية اللغوية ونتعرف على الفرق بينها وبين الثنائية اللغوية فقد وجدنا بين الباحثين فيها اختلافا في تحديد المصطلحين:

الازدواجية اللغوية

لا شك أن لكل مجتمع لغته الخاصة التي تميزه عن غيره من المجتمعات إلا إنّ **خارطة** العالم اللغوية اليوم " **تكشف عن شبكة معقّدة** متداخلة **الطبقات، فهناك** أشكال لغوية محليّة، **تعلوها** أخرى إقليمية، ثم **صنف** آخر تمثّله **لغات** وطنية، وفوق **هذا** كلّه **عدد** محدود **من لغات** ناقلة منتشرة عابرة للأوطان وحتى **القارات،** وهذه **الطبقات** تمثّل نسيجا **معقّدا** متحرّكا.

إنّ هذه **الحقيقة تنطبق** على جميع المجتمعات والبيئات، **ومؤدّاها استحالة وجود** بلد أحاديّ **اللغة. وهذا** معناه أنّ مصير الإنسان **هو** أن **يكون** في **مواجهة اللغات المتعدّدة لا** أن **يكون** في **مواجهة اللغة الواحدة**".[1]

وإذا أردنا تعريف ظاهرة الازدواجية اللغوية diglossia **فهي:** "استعمال **لغتين من حضارة واحدة** وأصل **واحد** ورحم **واحد، ومثال** ذلك الازدواجية **بين العامية** والفصحى في **اللغة** العربية **فالطفل** يقضي سنينه الأولى في **التقاط مفردات لغته** الأولى **من العامية،** بحيث تترسخ في **ذهنه** وتمكن **من ملكته** اللغوية، **وحين تتاح** له **فرصة** التعليم في **المدرسة** يصبح **من الصعب** إحلال الفصحى محل **العامية** في **ظل** منهج ضعيف كما وتيفا **للغة** الفصحى[2]

أو كما عرفها الباحث الفرسي وليام مارسي في كتاب سمّاه» الازدواجية اللغوية العربية « «Diglossie arabe حدّد فيه الازدواجية اللغوية" بحالة لغوية يتعايش فيها نظامان لغويان في مجتمع واحد، فيؤدّيان وظائف تواصليةً مختلفة .وهو ما يمكن أن نعبر عنه في جميع اللغات بوجود لغة مشتركة وقد تسمّى فصيحة أو رسمية، ولغة خاصة، وقد تسمّى لهجة أو عامية، فينتج عن ذلك وجود مستويين لغويين :واحد رفيع، والآخر وضيع.

أما اللساني الامريكي فرقيسون فإنها تأخذ عنده معنى التقابل بين ضربين من الا ستعمال اللغوي لدى جماعة لغوية واحدة، ترفع منزلة أحدهما فيُ صبح لغةَ للكتابة والتعليم ويُعتبر معيارًا، ولا يستعمل في الخطاب إلا مع الخاصة؛ وتُحطّ منزلة الآخر، فيظلّ لغة للخطاب عند العامة فالأول فصيح والثاني عامّي، ويختص كل منهما بوظيفة اجتماعية لا يؤدّيها الآخر"[3]

فالازدواج اللغوي اذن يقوم على تنافس نمطين من نفس اللغة يختلفان في المستوى والمكانة ، وكذا في مجالات استعمال كل منهما، وازدواج الاستعمال بين الفصحى والعامية محدد بقواعد لا محالة ، "فتخصص الفصحى للاستخدام الرسمي في الدوائر والمؤسسات الحكومية كالمدارس والجامعات والمحاكم والوزارات وغيرها ، وهي المناسبة الوحيدة لهذا الاستخدام، وتكون العامية هي الأنسب للاستخدام اليومي بين عامة الناس، أما من حيث المكانة فإن كثيرا من المتكلمين يرى ضرورة استعمال الفصحى عند الحديث في قضايا هامة كالخطب السياسية أو البيانات أو المحاضرات والندوات والمؤتمرات، في حين أنهم لا يجدون غضاضة في استخدام العامية في مواضع و مناسبات أخرى"[4]

وإذا أردنا أن نخص اللغة العربية بالذكر، فهي ليست بدعا من اللغات ولا تختلف عنها، فقد اعتراها الازدواج اللغوي والثنائية اللغوية والاقتراض اللغوي وغيرها من مظاهر احتكاكها بغيرها، فهي ليست معزولة عن لغات العالم.

ولا شك في أن اللغة العربية الفصحى هي أرقى مستويات اللغة بَيف لا وهي لغة القرآن الكريم، تنزيل رب العالمين، وتمثل الطبقة الرفيعة في ظاهرة الازدواج، فهي لغة التعليم والسياسة والندوات والخطب والكتابات الأدبية والفكرية والعلمية، في حين تأخذ العاميات المختلفة المستوى الأدنى

والطبقة الوضيعة على هذا السلم، وتبقى لغة الاستخدام اليومي والمسلسلات والحصص التلفزية وغيرها من الأغراض.

ولعل ما شجع على انتشار الازدواجية في اللغة وزيادة الهوة بين اللغة الرفيعة واللغة الهزيلة في المجتمع العربي هو كون "العرب اليوم لا يتكلمون العربية الفصحى، فالعامية هي الدارجة على ألسنتهم، والمستخدمة في جل محادثاتهم وحواراتهم، وهي المتداولة فيما بينهم وفي نواديهم ومحافلهم، والعامية نفسها ليست واحدة، وإنما هي عاميات متعددة، ففي كل قطر أو بلد ثمة عامية، أو ربما عاميات متعددة أيضًا، حتى ليصعب على الشامي أن يفهم اليمني، وقد يتعذر على العراقي فهم التونسي أو المغربي، بل إن أبناء القطر الواحد قد يجدون صعوبة في فهم بعضهم بعضًا.[5]

كما تختلف المستويات في القطر الواحد داخل مجتمع واحد وفي اللغة الواحدة، فإن مما يشجع تطور هذه الظاهرة أن جميع فئات المجتمع ومنذ نعومة الأظفار لا تتكلم غير العامي، "فالأطفال يجدون صعوبة بالغة في تعلم الفصحى بعد أن أمضوا سنوات عديدة من أعمارهم في اكتساب العامية، فتبدو الفصحى غير مألوفة لديهم وغيرً متاحة كذلك، إذ يعمد الطفل، عند تعلمه الفصحى، إلى مخزونه اللغوي والثقافي والذي تشكل عبر سنوات عديدة من المحاكاة في اكتساب العامية، فلا يجد ما يسعفه في الممارسة اللغوية الجديدة بالفصحى، فيضيق بها ذرعًا ويرغب عنها إلى غيرها من العاميات المتاحة أو اللغات الأجنبية التي قد يحرز تفوقا ملحوظا بها، نظرًا لضحالة العامية وضمور الفصحى أو تعثرها"[6]

كما أن اللغة الفصحى مقيدة بقواعد وأحكام شديدة خاصة في النحو والصرف، مما يجعل المتكلمين يعزفون عنها إلى أشكال أخرى من العاميات أكثر يسرا وسلاسة.

ومن أبرز مخاوف الدارسين حول قضية الازدواج اللغوي وأثره على اللغة هو كون اللغات العامية لغات ضعيفة لا ترقى إلى مصاف اللغات العالمية المتقدمة والاعتماد عليها يضعف اللغة ويفقدها مكانتها " فانتشار العامية على نطاق واسع يؤدي إلى إضعاف الفصحى في عقول وألسنة أبنائها؛ مما يؤدي إلى وجود بيئة لغوية مستضعفة تتسلل إليها مفردات اللغات الأجنبية، لأن العامية ليست ندً ا للغات الأجنبية في غياب لغة قوية كالفصحى"[7]

كما أن اللغة وعاء الثقافة، فإذا ضعفت اللغة ضعفت الثقافة وضاع الارث الفكري والأدبي والعلمي للمجتمع، وإذا حدث ذلك فهو ايذان بضعف الدول وسهولة التمكن منها، فاللغة "هي الامتداد الثقافي والفكري والحضاريً، وقد شكلت على الدوام رمزًا لوحدة أمتنا، وأداة لتواصلنا وتآلفنا، وإحلال العامية محلها، سيعمل على تفتيت هذه الوحدة وتمزيق هذا الرباط التآلفي والتعارفي، وسيجعل من الأمة أممًا شتى، وأقوامًا متفرقين، إن إقصاء الفصحى يشكل نذيرًا لانهيار كل منجزات الأمة وتفتيتا لوحدتها".[8]

ولعل من الحلول المقترحة للتصدي لهذه المشكلة اللغوية ما اقترحه " محمود تيمور (في كتابه "مشكلة اللغة العربية) كلما ازداد التعاون والتبادل بين لغتي الكلم والكتابة تضاءلت الفوارق ودنت كل منهما إلى الأخرى، ومتى كملت للعربية هذه المطالب كان لها أن تطمئن إلى حياة مديدة موصولة تجاري الزمن وتتطور معه وتتجدد به، فكما كانت العربية لغة الماضي وكما بقيت لغة الحاضر ستظل لغة المستقبل."[9]

أما إذا أردنا تعريف مصطلح الثنائية اللغوية فهي ما يقابل المصطلح الأجنبي Bilingualism ثنائية اللغة والتي يشيع استخدامها في سياق الحديث عن استعمال لغتين مختلفتين في التواصل كالعربية والانجليزية، أو العربية والفرسية "[10] فالثنائيةِ اللغوية Bilingualism تقوم على أساسِ وجود لغتين لهما مكانةٌ اجتماعية متماثلة.

وبتعبير آخر فإن الثنائية اللغوية تعني " وجود لغتين متنافستين في الاستعمال تتمتعان بمنزلة واحدة من حيث الكتابة الرسمية والاستعمال الرسمي مثلما نلحظ في الجزائر حيث العربية لغة مشتركة الفرنسية كذلك، وهما تمثلان لغتين يجيدهما المتكلمون بالقدر نفسه من الكفاية... وعندما تتنافس لغتان من الطبيعي أن تتفوق إحداهما على الأخرى ، فتستعمل بطريقة أكثر أمنا وأكثر دقة في مواقف معينة، وهذا ينسحب على من يتعلمون لغتين مختلفتين معا أثناء طفولتهم، فمن الصعب إن لم يكن من المستحيل أن تكون هاتان اللغتان متكافئتين تماما، وإنما سيظهر من حين لآخر درجة من التفضيل والإيثار لإحداهما حسب الموضوع و الموقف."[11]

كما أنّ من عوامل انتعاش ظاهرة الثنائية اللغوية هو انتقال الجماعات البشرية من منطقة إلى أخرى والتقاؤهم بجماعات لغوية أخرى تختلف عنهم من حيث اللغة،" فهذا التنقل بحثا عن مقومات الحياة يترتب عنه الاحتكاك بين الجماعات اللغوية المختلفة، وتظهر الثنائية اللغوية، وقد استمرت هذه الظاهرة في النمو والتوسع لكثرة وسائل الاتصال بين المجتمعات المختلفة كالتجارة والعمل والهجرة وغيرها."[12]

واللغة العربية كما أسلفنا شأنها شأن كل اللغات ، تتأثر بالاحتكاك مع غيرها وتتعايش معه، ولا شك في أن المجتمعات العربية جميعها تعيش ثنائية لغوية ، وقد تأثرت لا محالة بالاستعمار والاستيطان الأجنبي لها، الذي حاول جاهدا طمس الهوية العربية وتنشر التفرقة بين مكونات الهوية الوطنية العربية وبين أبناء الوطن الواحد، فقد " انتشرت اللغات الأجنبية في العالم العربي منذ حقبة الاستعمار، فقد اتبع الاستعمار الفرسي سياسة الفرسة(نشر الثقافة الفرسية) في دول المغرب العربي، ثم في سوريا ولبنان، وكانت هذه السياسة ترتكز ليس فقط على نشر اللغة الفرسية، و إنما أيضاً أن تكون بديلاً عن اللغة العربية، كما عمل الاستعمار البريطاني على نشر لغته وثقافته في مصر والسودان وبقية دول المشرق العربي والجزيرة العربية".[13]

ولعل أهم ما يدعم الثنائية اللغوية ويعززها في مجتمعاتنا العربية هو أنظمة التعليم ، فهي التي سمحت للغات الأجنبية بمزاحمة اللغة العربية الفصحى حتى أن اللغات الأجنبية أصبحت مقررة على تلامذة الأقسام الابتدائية في حين أنهم لم يتمكنوا من لغتهم الفصحى بعد، وهم يعانون من الازدواجية اللغوية ولم يتقبلوا التعبير بالفصحى ولازالوا يستعملون العامية، فإن تعليمهم اللغات الأجنبية " يقوّي من مكانتها في عقول النشىء، أما اللغة العربية فلا تجد الاهتمام والعناية الكافية، وبالتالي يدركها الأطفال منذ نعومة أظافرهم على أنها هامشية أو غير أساسية، من جهة أخرى، فإن المعلمين الذين يخالطون التلاميذ ثلث اليوم، ويتحدثون إليهم، لا يتحدثون العربية الفصحى، بل الكثير منهم موغل في استخدام العامية، ومن النادر أن يتحدثوا الفصحى البسيطة، فضلا عن الفصحى المتقدمة .كما أن طريقة تدريس اللغة العربية تقوم على تعلّم القواعد وحفظها، وهذه طريقة ثبت خطؤها تماماً، ولا تساعد على أن تكون اللغة العربية لغة تواصل."[14]

ولا يقتصر أثر التعليم على فئة الأطفال فقط، بل وحتى طلاب الجامعات، وهذا واقع أغلب جامعات الوطن العربي، فجل التخصصات العلمية والتقنية كالطب والصيدلة والهندسة والعلوم الفيزيائية والإعلام الآلي والبرمجيات وغيرها تدرّس باللغة الأجنبية ، وكأن اللغة العربية قاصرة عن استيعاب هذه العلوم ومصطلحاتها، ولم تكتف الدول العربية بهذا وحسب، بل وأرسلت بعثاتها العلمية إلى البلدان الغربية لتنهل من تطورها العلمي والتكنولوجي، ولا ضير في ذلك اذ هو ضرورة علمية وانسانية، لكن المشكلة تكمن في الطلبة العرب أنفسهم حين يتشبعون بالثقافة الغربية ويعتزون باللغة الأجنبية وينسون لغتهم العربية ويهملونها.

ومما مكن للغات الأجنبية أيضا وسائل الإعلام، فهي تضعف اللغة الفصحى من خلال الأخطاء التي يقوم بها الصحفيون الجاهلون باللغة، ومن ثم تنتشر الأخطاء وتتكرر بين الناس وتصبح مقبولة متداولة مما يوهن متن اللغة الفصيح، كما أنها تروج للغات الأجنبية و" يشيع استخدام الألفاظ والمصطلحات الأجنبية، والكلمات المهجّنة وبالتالي تنتشر بين الجماهير بدلاً عن اللغة العربية، ومن خلال البرامج والمواد المختلفة يتم تعميق عقدة الخواجة »والموجودة في واقع الثقافة العربية، وذلك حين تقدّم وسائل الاعلام موادّ وبرامج تعمل على تسويق الشخصيات والجماعات التي تتحدث بلغات أجنبية على أنهم القدوة والنموذج، أن التحدث بهذه اللغات مرتبط بالتمدن، والتطور، ومواكبة العصر، أن الشخص الذي يتحدث بكلمات أجنبية في سياق كلامه هو شخص مثقف، متطور، متفاهم، يحب الحياة ويعشقها . على النقيض من ذلك، فإنّ هناك موادّ وبرامج تُظهر الشخص الذي يتحدث بالفصحى على أنه متخلف في مظهره وسلوكه وطريقة حديثه أو جامد الفكر"[15]

ولانفتاح سوق العمل أيضا دور بارز في تعزيز الثنائية اللغوية فعند استقدام عمالة أجنبية إلى بلد عربي فسيتحدث بلغته الأجنبية أو يتعلم لغة عربية رنيكة و هذا واضح بخاصة في دول المشرق العربي و" من خلال تفاعل الأجانب يومياً مع المواطنين تدخل كلمات غريبة على اللغة العربية، غير أن التأثير الأخطر للعمالة أتي من دور الخادمات الأجنبيات في تربية الأطفال وبالتالي في نموّهم اللغوي، فالخادمة الفلبينية أو الهندية أو السيلانية تتعامل مع الطفل منذ سنواته الأولى، وبالتآكيد تتعامل معه إما بالعربية الرنيكة أو بالإنجليزية، وهذا يؤثّر بالتآكيد في النمو اللغوي للطفل بما في ذلك ضعف لغته العربية."[16]

أما ظاهرة الاقتراض اللغوي أو بالمصطلح الأجنبي borrowing linguistic فهي أيضا ظاهرة لغوية تنجم عن احتكاك اللغات وصراعها فلا توجد لغة بشرية تعيش بمعزل عن لغات العالم ولا تحتك معها، فالاحتكاك ضروري لنمو اللغة وتطورها وانتشارها.

فظاهرة الاقتراض اللغوي (بالفرسية l'emprunt) تسمح للغة باستعارة واكتساب ألفاظ جديدة تساعد على اثرائها واستمراريتها فهي" ظاهرة لغوية طبيعية عرفت بين الشعوب منذ أقدم العصور وهي إحدى وسائل نمو الثروة اللغوية، إذ لا تكاد تخلو لغة من اللغات من ذلك بفعل التأثير والتأثر بين الناطقين، فتأخذ اللغة المتأثرة ألفاظا أو تراكيب أو أصواتا من لغة أخرى، فإن أي لغة لا تستطيع أن تستمر فترات طويلة من حياتها منكفئة على ثروتها اللفظية الخاصة دون أن يكون لها مدد خارجي من لغات أخرى"[17]

وهي أيضا ظاهرة من ظواهر التقاء اللغات وتأثير بعضها في بعض،" فاللغات تلتقي بالتقاء أصحابها في السلم والحرب وبالتجاور والاتصال أو الاحتلال والحكم في ميدان الثقافة والعلم أو في ميدان الاقتصاد والتجارة أو غير ذلك من ضروب الاتصال فيؤثر بعضها في بعض بوجه عام أو في ميادين محدودة".[18]

وبشكل عام فإن ظاهرة الاقتراض اللغوي نتيجة حتمية لاحتكاك لغتين أو شعبين سواء كان هذا الاحتكاك صراعا و تنازعا على البقاء وسعيا وراء السلطة والغلبة والسيطرة، أو كان علاقات مجاورة و تجارة أو هجرة ، فنرى اللغة الأضعف أو المغلوبة تأخذ من اللغة الغالبة مفرداتها وتستعير ألفاظها وتصيغه وفق صيغها وقواعدها، وقد تحدث علي وافي في كتابيه (اللغة والمجتمع ، وعلم اللغة)عن قضية صراع اللغات وتأثرها ببعضها البعض ونتائج ذلك وفي معرض حديثه عن الاحتكاك اللغوي يذكّر بأنه "متى اجتمعت لغتان في بلد واحد لا مناص من تأثر كل منهما بالأخرى سواء تغلبت احداهما على الأخرى أم كتب لكلتيهما البقاء، غير أن هذا التأثير يختلف في مبلغه ومنهجه ونواحي ظهوره ونتائجه... فإذا كان الغلب قد كتب لإحداهما تراها تسيغ كل ما تأخذه من الأخرى مهما كبرت كميته ، فيستحيل إلى عناصر من نوع عناصرها بدون أن تدع له مجالا في التأثير في بنيتها أو تغيير تكوينها الأصلي".[19]

أما اللغة الأخرى المغلوبة " فتقذفها اللغة الغالبة بطائفة كبيرة من مفرداتها فتوهن بذلك متنها الأصلي، لكن اللغة المغلوبة تظل طوال هذه الفترة محتفظة بقواعدها ومخارج حروفها وأساليبها في نطق الكلمات، فيؤلف أهلها عباراتهم ويصرفون مفرداتهم وفقا لقواعدهم المتعلقة بترتيب أجزاء الجملة وتصريف المفردات، وينطقون بألفاظهم الأصلية وما انتقل إليهم من ألفاظ دخيلة طبقا لأسلوبهم الصوتي ومخارج حروفهم"[20]

إذن فظاهرة الاقتراض اللغوي قانون اجتماعي انساني ناتج عن احتكاك المجموعات البشرية بعضها ببعض، وبالتالي احتكاك لغاتهم وألسنتهم فيستعيرون ويعيرون الألفاظ والمفردات متى تجاورت هذه الشعوب واتصلت ببعضها على أي وجه وبأي سبب ولأية غاية، وهي ضرورة تاريخية كما يراها محمد حسن عبد العزيز " فكما تقترض الشعوب مظاهر الثقافة وما يكون خلفها من قيم وأحكام، تقترض المفردات التي تشير إلى تلك المظاهر وتلك القيم والأحكام".[21]

وإذا أردنا الحديث عن فحوى وخطورة دراسة ظاهرة الاقتراض، فلا يخفى أن أهميتها تكمن في "معرفة الأصيل والمقترض من اللغة المدروسة ليستقيم التأصيل عند أهل اللغة المقترِضة وكذا معرفة المسار التاريخي لتغير اللغة المقترِضة في أطوار نموها، لأن الاقتراض عادة ما يكون سببا في نمو اللغات وتطورها بدخول ألفاظ جديدة بمدلولاتها عليها"[22]

واستعمال لفظ الاقتراض في هذه الظاهرة ليس إلا من قبيل التجوز أو مجاراة لاصطلاح اللغويين المحدثين،" فليس اقتراض الألفاظ اقتراضا بمعناه، ذلك لأن اللغة المستعيرة لا تحرم اللغة المستعار منها تلك الألفاظ بل ينتفع كلا اللغتين، وليست اللغة المستعيرة مطالبة بردّ ما اقترضته من ألفاظ اللغات الأخرى.[23]

ولعل من أبرز العوامل التي تعزز احتكاك اللغات وتؤدي إلى اقتراضها من بعضها بعضا ما يأتي:

الاحتلال والاستيطان: ويكون العنصر الأجنبي المحتل حاملا للغة غير لغة البلد الذي نزح إليه فتحتك اللغتان وتدخلان في صراع، تكون نتيجته احدى اثنيتن: إما أن تتغلب احدى اللغتين على الأخرى، وإما أن تتعايشا جنبا إلى جنب.

و"يختلف مبلغ التأثر باختلاف الأحوال فتكثر مظاهره كلما طال أمد احتكاك اللغتين وكان النزاع بينهما عنيفا والمقاومة قوية من جانب اللغة المقهورة، وتقل مظاهره كلما قصرت مدة الصراع أو خفت وطأة النزاع أو كانت المقاومة ضعيفة من جانب اللغة المغلوبة".[24]

ولعل من العوامل المؤدية لاحتكاك اللغات المختلفة أيضا التجاور: " ويتيح تجاور شعبين مختلفي اللغة فرصا كثيرة لاحتكاك لغتيهما، فتشتبكان في صراع ينتهي إلى واحدة من النتيجتين نفسيهما في العامل الأول فأحيانا تنتصر احدى اللغتين على الأخرى وتحتل مناطقها فتصبح لغة مشتركة بين الشعبين وأحيانا لا تقوى واحدة منهما على الأخرى فتعيشان معا جنبا لجنب"[25]

كما أن " الأثر الذي يقع على لغة ما من لغات مجاورة لها كثيرا ما يلعب دورا هاما في التطور اللغوي، ذلك أن احتكاك اللغات ضرورة تاريخية واحتكاك اللغات يؤدي حتما إلى تداخلها "[26]

أما العامل الثالث فهو التبادل التجاري "لكثرة الاحتكاك التجاري بين أفراد الشعبين ينقل إلى لغة كل منهما آثارا من اللغة الأخرى"[27]، ذلك أن من مظاهر التبادل التجاري انتقال أسماء البضائع مع بضائعها من بلد إلى بلد،" فمنتجات كل شعب تحمل معها أسماءها الأصلية فلا تلبث أن تنتشر بين أفراد الشعب الآخر وتمتزج بمتن اللغة"[28]

كما تلعب العلاقات الثقافية دورا هاما في انتقال الثروة اللغوية و" اللغة وعاء الثقافة المشتمل على نتاج مبدعي الأمة وترجمان أفكارها وجهودها المعرفية، ولذا كان للعامل الثقافي تأثير كبير على الاقتراض"[29] وتوثق العلاقات الثقافية بين شعبين مختلفي اللغة تؤدي إلى "انتقال لغة كل منهما إلى الآخر وبخاصة إلى لغة الكتابة، هذه الآثار لا تقف عند حد المفردات بل تتجاوزها غالبا إلى الأساليب".[30]

وقد تدعو الحاجة أيضا إلى الاقتراض فيحدث في بعض الأحيان أن تقترض لغة ما ألفاظ ومصطلحات لأنها لا توجد أصلا في لغتها كأسماء الآلات أو علم من العلوم " فحاجة الشعوب أدعى إلى اقتراض بعض الألفاظ من الشعوب المجاورة لها أو المحتكة بها لأداء غرض معين أو لاكتسابها مصطلحات علم من العلوم التي دخلت وشاعت مع حركة الترجمة، أو ربما لفظ قد اختص به هذا الشعب أو ذاك."[31]

الخاتمة:

وبعد دراسة هذه الظواهر الثلاث المتعلقة باحتكاك اللغات وتعايشها تحت سقف واحد خلصنا إلى مجموعة من النتائج منها:

- الازدواجية اللغوية تمثل اعتماد الجماعة اللغوية على **تنوعين من** اللغة المشتركة ذاتها، **يكون** أحد النمطين **ذا اعتبار** أرقى **من** الآخر، **فيستخدم** في **الكتابة** الأدبية **والعلمية والفكرية، والخطب،** والآخر يستخدم فيما عدا ذلك كلغة **التخاطب** اليومي، ويعتبر **تنوعا** أدنى **من السابق الذي يستعمل** في **الكتابة**.

وتشكل الظاهرة قلقا لدى الدارسين لأن اعتماد العامية يهدم صرح اللغة الفصحى وهي لغة الدين والثقافة والعلم والأدب، ففي ذلك تهديد للموروث الثقافي والمخزون العلمي، لأن العامية لغة ضعيفة ولا ترقى لاعتمادها لغة العلم والأدب.

ولعل من الحلول المقترحة لتقليص حجم الخطورة هو تبسيط قواعد اللغة العربية الفصحى وطرق تدريسها حتى يتسنى للطلاب اكتسابها والاعتماد عليها.

- أما الثنائية اللغوية فهي **تقوم** على أساسِ **وجود لغتين** لهما مكانةٌ اجتماعية **متماثلة، تتنافسان** في الاستعمال وتمتعان بمنزلة **واحدة من** حيث **الكتابة** الرسمية والاستعمال الرسمي، وظهرت هذه الظاهرة في الوطن العربي على وجه التحديد مع حركات الاستيطان وزحف الاستعمار الأجنبي نحوه، فقد كان المستعمر يعمل على نشر لغته وطمس الهوية العربية، وحتى بعد خروجه حافظت الدول على لغته في أنظمة تعليمها ومؤسساتها الأكاديمية، حتى كاد يطغى على اللغة الأصلية في أحيان كثيرة.

وما ساعد على انتشار الثنائية اللغوية أنظمة التعليم المعتمدة على اللغات الأجنبية، ووسائل الإعلام المروجة للغات الأجنبية، وكذا انفتاح سوق العمل واستقدام العمالة الأجنبية والاحتكاك بهذه الفئة **وما** يعقبه من انتقال لغتها للمجتمع.

ولعل من الحلول الممكنة للحد من انتشار الظاهرة هو تأخير تدريس اللغات الأجنبية للأطفال حتى يتمكنوا من لغتهم الأم أولا ويتقنوها، واستغلال وسائل الإعلام في نشر الفصحى واجتناب العامية واللغات الأجنبية.

- وأما ظاهرة الاقتراض اللغوي فتبرز لا محالة متى اجتمعت لغتان في بلد واحد فتتأثر كل منهما بالأخرى، وتنتقل ألفاظ كل منهما إلى الأخرى وفق قواعد معينة، وتصيغ اللغة الكلمات التي اقترضتها وفق قواعدها الصوتية والترتيبية، وتساعد دراسة الاقتراض اللغوي في معرفة المسار التاريخي لتغير اللغة المقترِضة في أطوار نموها، لأن الاقتراض يساهم في نمو اللغات وتطورها بدخول ألفاظ جديدة من لغات أخرى عليها.

الهوامش:

01-في الازدواجية اللغوية والهوية العربية، الحبيب النصراوي، مجلة الاذاعات العربية العدد 4 – 2013 ص،9

02-محاضرات في علم اللغة العام linguistics 2014 ، صفوت علي صالح ، مقرر قسم علم اللغة و اللغات السامية و الشرقية، جامعة القاهرة. ص 109

03-في الازدواجية والهوية العربية ص 110

04-العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، ابراهيم كايد محمود، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، المجلد 3 العدد 1 مارس 2002، ص 62

05-الازدواجية اللغوية في اللغة العربية، عباس المصري وعماد أبو حسن، مجلة المجمع، العدد8 / 2014، ص 37

06 -المرجع السابق ص 57

07 -محاضرات في علم اللغة العام 2014، ص 109

08-الازدواجية اللغوية في اللغة، ص 55

09-محاضرات في علم اللغة العام 2014، ص116.

10-الثنائية اللغوية ومزاحمة اللغات الأجنبية للغة للعربية، بركات عبد العزيز، مجلة الاذاعات العربية العدد 4– 2013، ص24

11-محاضرات في علم اللغة العام linguistics 2014 ، ص 111-112

12-أنظر: العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، ص 76

13-الثنائية اللغوية ومزاحمة اللغات الأجنبية للغة للعربية، ص 23

14-المرجع نفسه، ص 24

15-الثنائية اللغوية ومزاحمة اللغات الأجنبية للغة العربية، ص 25

16-المرجع نفسه، ص 27

17-الاقتراض في العربية، مروج جبار، مجلة كلية العلوم الاسلامية، جامعة بغداد 2011 م، ص 519

18-فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، دار الفكر للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1964، ص 292

19-علم اللغة، علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة التاسعة 2004، ص ص 239-240

20-اللغة والمجتمع، علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 2004، ص 87

21-التعريب في القديم والحديث، محمد حسن عبد العزيز، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، 1990 ص 11

22-الاقتراض في العربية، ص 521

23-من أسرار اللغة، ابراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة السادسة 1978، ص 117

24-اللغة والمجتمع، ص 84

25-اللغة والمجتمع، ص 93

26-فصول في فقه اللغة، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة السادسة 1999، ص 358

27 -علم اللغة، ص 248

28-المرجع نفسه، ص 248

29-الاقتراض في العربية، ص 526

30-اللغة والمجتمع، ص 102

31-الاقتراض في العربية، ص 525